

لماذا .. "المتنبي"؟..

بدءاً..

يجب أن نجاري - في هذا المضمار - الذائقة العامة لنصّف الشاعر، من خلال تواجد شعره، سواءً للاستشهاد من نظمه بكل عارض^(١)..، أو للتطرب به والتغني منه والتمثيل له..

عندئذٍ يكون - هذا - الشاهد /الحي/ والصادق.. لدعم هذا التقييم، بل والمُصادق عليه بتلقائية.. أو حتى بعفوية.

ولم يكن تمييزي لهذا الفحل من الشعراء - عاطفياً.. أو - عشوائياً!^(٢)
فيعلم الله أنني ما حسبت هذا الصدى البعيد الذي أوجده "شعره" في نفسي.^(٣)

(١) راجع.. - مثلاً - كتابي "ديوان البيان" لتجد أحلى دليل.. على شواهد الاستشهاد.

(٢) ويقول محمد كمال حلمي بك (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) عن المتنبي: كانت طريقته في التأليف أحبولة يتصيد بها المُطلع على شعره فيكتسبه لنفسه، يورد عليه ما يعرف وما يجب وما يطلب، فمثله في ذلك كمثل التاجر الكيس يجتهد في أن يبيع الناس ما يريدون، فتحبّب إليهم في هذا الباب إذا أعطاهم ما يشتهون لأنه في شعره رعا كان يعمل لنفسه ليرضيها فأرضى نفوسهم تبعاً.

(٣) ولست بدعاً في ذلك، أتى الواحدي - ت ٤٦٨هـ - صاحب الشرح المشهور، بعد قرن من وفاة الشاعر ليقول:

"إن الناس منذ عصر قديم قد ولّوا جميع الأشعار صفحة الإعراض، مقتصرين منها على شعر أبي الطيب، ناسين ما يروى.. لسواه."

ولما صنّف أبو العلاء المعري كتاب اللامع للعزيري في شرح شعر المتنبي وقرأ عليه أخذ...

قال الحطيئة:

وتعدلني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد
فقد قلبت وتقلبت بين الشعراء ودواوينهم، فما وجدت - على الرغم
من قلة جهدي بذلك - ما يصادف ذاتي، ويجرّك وجداني الداخلي قدر
"شعره"

يا شاعراً هزّ الفؤاد بنبضه فتحركت في داخلي الأوتار
..والذي رسم خطأ "المجد" - ليصل إلى بؤرة الفؤاد، حتى حداني أن..
أتصرّف ببيته المعروف.. ب/

إن أكن معجباً.. فعجب عجيب لم يجد فوق شعره من مزيد-
هذا هو الفارس "الضّال" عن ميدان الفروسية، والذي حملت نفسه
الاعتزاز والافتخار مع الضعة بالمجد الموروث، والاهتزاز بصحة النسب -
أو تواضعه-، إلا أنه لم يُقم لهذين العاملين /رغم مكاتهما/ وزناً ولو
على الأقل يوازيهما:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ..وبنفسى فخرت،.. لا بجوددي

...
الجماعة في وصفه فقال أبو العلاء - وكان أعمى - رحم الله المتنبّي!! كأنما نظر إليّ بلحظ
الغيب حيث يقول:

كأنما نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
ومعروف مبتدا البيت.. ب: "أنا" الذي نظر الأعمى... الخ.

أبو "مُحسّد" أحاطت به التجارب من كل جانب، وشغلته المعتزات
الجسام، وحطمته الأحداث العظام^(١) ..

أذاقني زمني بلوى شرقت^(٢) بها لو ذاقها غيري لبكى ما عاش وانتحبا
وُلد للنضال والتعالي.. الذي صحبه في مجريات حياته:

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
يُسبق سيفي منايبا العباد إليهم كأنهما في رهان
ساجعله حكماً في النفوس ولو ناب عنه "لساني" كفاني
.. ونافح إثر مُبتغاه.. "الذي جلّ أن يُسمى" بعزيمة.. وثباتٍ كالجبال
الرواسي، حتى عبّر عن ذلك:

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء.. من نبالٍ
فصرت إذا أصابتنني سهامٌ تكسرت النصال.. على النصالِ

^(١) وعرف به الأديب الشيخ (د. عائض القرني) - كتابه / وحي الذاكرة -:

هذا شاعرٌ عضّته الأزمان، ولسعته النكبات ومزّقت فؤاده الكوارث.. يسكت يسكت ثم
يزجر ناقماً على زمانه وإخوانه، يصمت يصمت ثم ينفجر صائحاً.. يشكو عصره،
ويلوم دهره. يهدأ يهدأ ثم يهبُّ من غفوته.. متمرداً رافضاً.. محتجاً..!

^(٢) أي: غصصت بها - قال ابن زيدون:

غاض العدا من تساقينا الهوى، فدعوا بأن نغصّ.. فقال الدهر: آمينا